

الصلاة

قصة بقلم ميشخ اشخان

« الهي ! ماهذا الجمع ! »

محيط من الرؤوس يمتد امامه . فصفوف المؤمنين ملتصقة الى بعضها حتى المدخل .

رجال وقورون ، نساء خاشعات ، اطفال متأثرة وغيوم البخور بالتسايب والترانيل تتحرك موجة « موجة » فوق رؤوسهم . انتهج ميخائيل وشبه الكنيسة الصغيرة المنيقة بقناطر سماوية مصفرة . وقال في نفسه : مع ذلك فالشيطان اللعين يفتخر بان اكثرية المسكونة تابعة له ...

واراد ان يتحقق فذهب الى الحاضرين ينتصت الى صلواتهم ومطالبهم من خالق الاكوان . وفي الحال اخذ القلم والمذكرة من جيبه ومن كتف الواحد الى كتف الاخر وهو يلتقط الكلمات من شفاه المؤمنين .

كانت مهمة شاقة . فضجيج الخشاخيش والباخر من ناحية ، ورنين الفضة الوحشي على صينيئات الصدقات من ناحية ثانية كاد يصم اذني الملاك اللطيفتين ولكن الكلمات التقوية التي كان يتوقمها الملاك ، من شفاه المؤمنين ، كانت تقوي جناحيه على الطيران وتبعث فيه المهمة والتضحية .

سراة ثيابهم الانيقة على المقاعد الاولى ، واياهم قصد الملاك منقبها عن الكنوز في نفوسهم . لكن يا للاسف !

صحاري لا ماء فيها ولا اصدااء لاقى الملاك داخل الثياب الانيقة . عجبا ! هل تخدعه اذناه ؟

قرب وقرب يئصت الى الاصوات الداخلية ! ولا فائدة ... ولا نسمة ندية . دنياهم الداخلية صخرة صماء قاسية ... فتعجب . وتابع وثوبه من شخص الى اخر وهو لا يسمع ، كلما طبق اذنيه على شفاتي مصم الالهات الملل وتثاؤب افكار عفنه . لم اقبل هذا الجمهور الى الكنيسة ، وان لم يكن على شفاهه طلبات من رب الاعالي ؟ ماذا يسجل في مذكرته ؟ وما يقدم الى الله ربه ؟

- لاتابع ، فكر الملاك ، فان وجدت نصف هذا الجمع نقياً في صلواته ، اكون قد فزت بشيء عظيم . وتابع طيرانه يمتحن ويتحقق .

صادف اناسا كثيرين تتحرك شفاههم دون توقف فتح مذكرته فرحاً . بلل القلم الساطع لسانه وتحضر ليكتب الصلاة الجارية همسا .

ولكن شيء مدهش ! شفاه تتحرك ولا صلاة فيها ! جهد كثيراً فسمع بأذنه الروحية تمتمات فلست ممن التساييح وجفت على شفاههم . سمع « ابانا الذي في السموات ... » تتكرر وتتكرر على سنتهم الالية .

كلمات ... والفاظ ... لا روح فيها ولا حياة ... كلمات تقليدية معنطة ...

وكان ميخائيل لا يفهم سوى الكلمات الروحية والاشياء الحياتية . فما بال هذا الجمع يثرثر باشياء مادية ، لا حياة فيها !

- « مساكين ! »

قال ميخائيل متأسفاً .

« ان صلواتهم اشبهه ، بمحفوظات التلامذة يرددونها حتى يصلوا الى غابة صغيرة .

ومن (1) بين البخور ذي الرائحة العطرة ، لمت اشعة على وجهه ميخائيل من ابتسامة لاهوتية وهو يقول :

- « كأنه يرى على احد الكواكب قداسا احتفاليا » .

- « نعم يا مولاي ! ومع البخور تتصاعد ترانيم شجية ولهذا سكنت فرقتنا الموسيقية التي كانت تتحضر للترانيم المسائية ، سكنت للترانيل المنقولة على النسيم الاتي من العيد » . عندما قال رئيس الملائكة ذلك كان ساجداً وجناحاه مبسوطان على الفضاء العالي .

- حسن يا ميخائيل . فإنه يسرني احيانا ترانيل مخلوقاتي وهم يمجدونني ، وفضلها على الترانيل الملائكية المكررة .

- « ومن اين تصل كل هذه ؟ »

- « من الاسفل ، من الارض الصغيرة من الدنيا » .

- « طر ، يا ميخائيل والى نظرة سجل فيها صلوات المرتلين لاسمي حتى اكافئهم » .

انطلق ميخائيل من السماء الزرقاء الواسعة واخرق الاثير ليحط على قمة هيكل فخم .

كان يلهث من التعب .. فالوظيفة شاقة ويصعب عليه ان لا يعاين بهاء الله ولو لساعات يقضيها في دنيا الخطاة وقد لا تمضي دون قتال جديد مع الشيطان .

كان على انقمة متهيجا ورفوف الحمام تتطاير من حوالبه وترطم بجناحيه احيانا . النافوس يقرع واصداؤه تخترق الجو ظافرة بحماس العيد . والسماء براقعة بمصابيح الملائكة .

نسي ميخائيل انه غريب ، فدخل الكنيسة .

واول ما صدف بنظرانه مندهلا الى المذبح تجاسر على ان يفضله على مشاعيل السماء .

كانت الكنيسة صغيرة بهية وكالجنة بالزنبق الفضي ، وباشعة الشموع الذهبية اللامعة .

اصابه ما يشبه الدوار من كثرة الالوان وزخرفتها .

والملاك معنوي الحواس لم يتعود رؤية المحسوس ولكنه استطاع ان يمتلك امره ، فوجه كامل انتباهه الى الكاهن الذي يقدم الذبيحة والى لجنته والى غفارته المرصعة بالذهب .

كان ذلك الشيخ واقفاً وكأنه التمثال .

ظن ميخائيل انه احد قديسي السماء ، وعلى رأسه تاج جوهري عوضاً عن الاكليل المنور .

وميخائيل تعود مخاطبة القديسين ، فتقدم من الكاهن ووقف قربه سائتاً لئلا يبلبل الطقوس الدينية المقدسة .

احس الشيخ حضوره ، وهو يرتل فاضطرب صوته . واشرق وجهه بالنور .

وعندما التفت الكاهن ليعطي البركة للمؤمنين .

« السلام معكم » توجه معه الملاك ميخائيل بشكل عفوي ، وبقي على وففته .

(1) هذه القصة بقلم الكاتب اللبناني الارمني ميشخ اشخان الذي يعتبر طليعة الشعراء الارمن في هذه الحقبة ، وهو متخصص بالادب والتربية من جامعة بروكسل ويتماطى التدريس فسي بعض الثانويات اللبنانية « الترجمة »

مجمعة على الحميم

أردت أن أكتب ما أريد أن أقول
أردت أن أقول ،
أن أوقظ الافكار من مرقدتها الطويل
أن أخرج الينبوع للسهول
لكنه الذهول
أدارني ..

طرحني
سقطت فوق الشوك والوحول
أبحث في ذاكرتي
في عالمي المغلف المجهول
عن وجهي القديم
عن رأسي القديم
لكنني لمست في وجوم !
جمجمة يسكنها الظلام
فارغة تكاد أن تكون

في قعرها ضفت من الهشيم
وريشة ، وبيضة يابسة الرشيم
وجلجل صغير !
والريح فيها كل حين تطلق الصغير ..

أردت أن أكتب ما أريد أن أقول
آه ..

فلتركض السيول في الحقول
ولتفرغ الطبول في السهول
جمجمة على طريق الله ، في الظلام
لطحها الدوار بالوحول
تريد أن تقول ! ما تقول ؟
ضاحكة الاسنان ، في تبلة مقيم
فارغة العيون من معالم العيون
وعالي الحزين

اطلاله .. تنعب فيها اخوتي الوعول

راكضة بلا أهداء
كهوفها ضائعة ، تبحث عن لهفتها ، تجول
وأصدقائي كاهم

ماتوا من الطعام والنساء والكحول ...
في غبش الظلام في العراء
وليالي الطويل

والريح والوجوم والعيول
تقول لي ، تقول :

« على المدى صومعة .. مطلة تعانق الوجوم
ورأسك القديم

جمجمة أنزلها الله الى الجحيم !.. »

صباح الدين كريدي

حلب

« اليس من معلم يدرهم كيف يجب ان يصلوا ؟
وما يلزمني ؟

فان رأيت ربهم يصلي فزت بالربع وعدده نصر .
واخذ الملاك بطير من كتف الى ثانية .

وصل دور الترنيمة الحزينة « اغفر يا رب ... » ركع الكثيرون
بخشوع وقرأ الملاك لاول لفته سيماء الحزن على وجوه الكثيرين ، ودمعت
عيناء من صوت المترنمين الناعم الحنون .

صدفت اذنيه كلمات روحية حارة ، ذكرته الصلوات الصادقة ،
القديمة . ولما وتر انتباهه عاد الى الورااء منعورا .

رجل حسن الهدام يصلي ويطلب الى ربه كي يضاعف صندوقه،
وينزل بخصمه الى هوة الفقر ...

امراة محسنة تضرعت ، ووعدت ربها كيشا ... ان يفصلها عن
زوجها الفاسي ويضمها الى حبيبها .

وشاب من اعماق روحه الصماء يتوسل الى ربه حتى يموت عمه
فيستولي على ثروته .

واخر يطلب موت عدوه .

وغيره وغيره يطلب الفلاح والمجد .

اما المال فكان مطلوب القسم الاكبر .

وكان كل يشدد في الطلب ، ويكرر آملا ان يكون الاولى في استجابة
الله له .

« اغفر .. اغفر لي يا رب » .

هتف ميخائيل مقلعا اذنيه .

« كيف يتجاسرون يا رب ! »

« كيف يتجاسرون على ذلك ؟ »

« وكيف تريدني ان اسجل صلواتهم ؟ »

وريفات مذكرتي صفر ؟

« ما هذه الطالب الديوية الانانية ؟ »

« وما هذه النار الجهنمية في الناس ؟ »

« ولكن لن اياس لماذا وجدت ربع الرب يصلي ، فاقابل الرب بوجه
المجلي . »

وصفق بجناحيه واجتاز صفوف الناس .

على موجات الناقوس المرتجفة ، وفي حجاب البخور وصل ميخائيل
طبقة السماء السابعة حيث المولى ينتظره بفاغ الصبر .

« ما الخبر ؟ هل حصادك خصب ؟ »

« كنيسة مملوءة حتى المدخل يا الهي ! جموع لا عدد لها .

وما سجلت غير ثلاث صلوات . »

« للنعمة المستحقة ثلاث صلوات فقط ؟ »

« يا الهي ! ! »

« مبللة بالدموع الحارة . مقدسة بحبل الازلي وهذه الصلوات
الثلاثة من داخل بيتك » .

« لأم تطلبك لابنها حتى ترده عن حافة القبر .

« ولهاجر ينضرع حتى تربه وطنه ، بينه ، ارضه ، وكرمه ، قبل
ان يموت .

« وثالث الصلوات لطفلة فقيرة ترغب في لعبة جميلة شقراء اللون
تفمض عينها وتفتحها وتقول : ماما .. ماما .. »

« والثالثة يقدمون ما يملكون لتقبل تضرعاتهم ، ويقدمون حياتهم
لتنصت الى صلواتهم .

« هم هؤلاء المصلون الثلاثة استحققت صلواتهم ان تسجل .

وهم اهل الحب الصادق ... »

اخذ الله دفتر ميخائيل ، وقرأ الصلوات وتحقق من صحتها ، ولما
احنى رأسه ووقع تحتها كانت انوار الرضى تفرر وجهه وتهبط مسرعة
صوب الارض .

موشيغ اشخان

ترجمها ابراهام بغدادريان